



أحداث غزة" في الشعر الجزائري المعاصر قصيدة
"عَنْبٌ مِنْ تَحْتِ الْقَصْفِ" للشاعر نجيب جحيش؛ مقارنة سيميائية

Gaza Events in Contemporary Algerian Poetry:
A Semiotic Analysis of the Poem "A Reproach from
Under the Bombing" by the Poet Najib Jahish

لبنى خشة¹

¹ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر)، l.khecha@univ-emir.dz

ملخص:

تهدف هذه الدراسة للبحث عن تجليات خطاب المقاومة والصمود وما يتبعهما في الشعر الجزائري المعاصر، وكيف تفاعل مع أحداث الراهن ليحول المكان الجغرافي إلى قصيدة خالدة، وقد اخترنا قصيدة "عَنْبٌ مِنْ تَحْتِ الْقَصْفِ" للشاعر الجزائري نجيب جحيش، والتي تمت كتابتها يوم 14 نوفمبر 2023، تزامنا مع أحداث طوفان الأقصى في السابع أكتوبر 2023، بغزة المقاومة، وتستند الدراسة للمقاربة وفق المنهج السيميائي، لتركز على شبكة من العلامات (Signs) والرموز (Symbols) وكيف تتفاعل هذه العلامات مع بعضها البعض ومع السياق الثقافي والتاريخي لتوليد الدلالة والمعنى. وقد تم التوصل لجملة من النتائج نذكر منها أن القصيدة تشكل نظاماً سيميائياً مغلقاً على الألم مفتوحاً على الاتهام، فهي نسيج مركب من العلامات التي تتصارع؛ تغطي عليها علامات الموت، ولكن علامات الصمود تقاوم بجسارة وإن كانت متهاكة ومتألمة، كما تحمل القصيدة دلالة مركزية تتمحور حولها العلامات لتنتج تفاعلات بينها، ذلك أن القصيدة نفسها علامة دالة تحول الصمت إلى كلمة، والخذلان إلى اتهام، والموت إلى شهادة، والشهادة إلى انتصار.

كلمات مفتاحية: غزة؛ المقاومة؛ الشعر؛ السيميائية؛ نجيب جحيش؛

Summary:

This study aims to explore the manifestations of resistance and resilience in contemporary Algerian poetry, focusing on how it engages with current events to transform geographical space into a timeless poem. We have selected the poem "A Reproach from Under the Bombardment" by Algerian poet Najib Jahish, composed on November 14, 2023, coinciding with the Al-Aqsa Flood events on October 7, 2023, in resistance-filled Gaza. The study employs a semiotic approach, examining a network of signs and symbols and their interactions with each other and the cultural and historical context to generate meaning. Key findings indicate that the poem constitutes a closed semiotic system centered on pain but open to accusation. It weaves a complex fabric of signs in conflict, predominantly featuring signs of death, yet buoyed by resilient signs of endurance, even if frail and pained. Furthermore, the poem carries a central significance around which the signs converge, producing dynamic interactions. The poem itself becomes a pivotal sign, transforming silence into speech, betrayal into accusation, death into testimony, and testimony into victory.

Keywords: Gaza; resistance; poetry; semiotics; Najib Jahish

1. مقدمة :

لم تعد أحداث غزة أحداث مكان جغرافي... بل تحولت إلى قصيدة تكتب بالدم تُقرأ لتحرك صمت الضمير العالمي، تُكتب بدمع الأطفال والشيخوخ، دمع لا يكفكه غير الصبر والأمل، وتُنقش بدم الشهيد الذي لا يُغسل إلا ليفوح مسكا وعطرا، ولئن كان ما كُتب عن فلسطين أكبر من أن يتسع له كتاب الكون، فإنّ غزة حدّدت معنى الجرح الذي لا ينضب، منذ السابع (07) أكتوبر الذي غيّر وجه التاريخ ووجهته، حتى صار البحر مدادا يكتب بأموح الغضب، وصارت الأيام صفحات سوداء تُخلد وجعا يغوص في الأعماق... الأرض تننّ تحت القصف، والسماء تبكي رمادا... والأرواح تقاوم ظلم الغاصبين...

والمقاومة شكل من أشكال المواجهة... نبض يرفض الانكسار، وصرخة تثقب جدار الزمن، حياة تصارع الموت الأكيد لا لتبقى فحسب، بل لترسم على جبين التاريخ درب الحرية، والمقاومة كفاح شعب يدون معاناته بدم يروي جذور الأرض كي لا تموت، هي قضية تشبث بالجذور... على الرغم من الرصاص الذي يمزقها... أغصانها تلوح للعودة، والروح تشرئب للقاء... والمقاومة الندبة التي تتحول إلى قصيدة، والدموع التي تصير حروفا تضيء درب الثائرين، يقف الشعر حيث تقف البندقية... يروي نفس القصة بلسان مختلف... لسان

أحداهم غزوة " في الشعر الجزائري المعاصر قصيدة "مَحَبَّةٌ مِنْ قَهْرِ الْقَهْنِ" للشاعر نجيب جحيش،
مقاربة سيميائية _____ المجلد الخامس عشر / العدد الأول / مارس 2026

الروح والألم والأمل ليكتب بصمة الهوية في زمن المحو، حتى يكون شاهد العدالة حين تغيبها المحاكم.

والمقاومة والشعر ... امتداد الجسد للروح، وعلاقة الرصاص بالدم الجروح بالتنقيب والضمد، كالغيمة والمطر... هو الصوت حين تتعثّر الأسلحة، وذاكرة الأرض حين يراد لها النسيان، ليس مجرد كلمات تُكتب، بل قذيفة حقي تنفجر في وجه الصمت، ودوي قلب لا يخاف إلا الله، حتى أنه في ساحات المقاومة، يصير الكلام درعا يحمي الحقيقة، ووردة تنبت بين الرصاص، هو صرخة الأمهات، وأنشودة الأطفال، فالشعر... مقاومة بأرق صورها... مقاومة الموت بالكلمة، والظلم بالبيان، واليأس بالإيمان، وإن كان الجرح عميقا... فإن القلم أعمق وأبقى.

ويذكر الشعر المقاوم أسماء عربية خلدت التاريخ بالكلمة كمحمود درويش، وأمل دنقل، ونزار قباني، وسميح القاسم، وفدوى طوقان، وعزالدين المناصرة، وتوفيق زياد... وقد تفاعل الشعر الجزائري مع القضية الفلسطينية عبر محطاتها التاريخية ليس فقط كقضية قومية بل كجزء من الجزائر، ونذكر من شعرائنا الذين كتبوا القضية: مفدي زكريا، والبشير الإبراهيمي، وعبد الحميد بن باديس، ومحمد الأخضر السائحي، ومحمد أبو القاسم خمار...

ولا يختلف الشعر المعاصر في مواكبته للأحداث، فمنذ طوفان الأقصى في السابع أكتوبر، وغزة المقاومة تعاني الأمرين، وقد كتب الكثير من الشعراء غزوة مقاومة وصبرا ورتاء، والشاعر نجيب جحيش، واحد من الشعراء الذين كانت لهم وقفة خاصة مع غزة في قصيدة " عتب من تحت القصف" موضوع هذه الدراسة.

والشعر بحسب (جون بول سارتر Jean-Paul Charles Aymard Sartre 1905-1980) « ليس مجرد كلمات يلقي بها الكاتب على صفحة عذراء ثم يُنظّمها في جُمْل مترابطة، فالكتابة إذا نُظِرَ إليها من زاوية ضيقة لن تتجاوز كونها أحد النظم العلامية وهي تصوير اللفظ بالخط، ولذلك على الكاتب أن يدرك منذ البدء أن الكتابة لحظة من لحظات العمل»¹

فالكتابة لحظة الواقع والخيال، والنفس والروح، وهي الأنا والآخر، وهي فعل تغدو فيه الكلمات خادمة ومُستخدمة في نفس الوقت ... ولو لم تكن مكانة الكتابة عظيمة عظمة

الكلمة ما وصفها (بريس بارين Brice Parain 1897-1971) بأنها "مسدسات عامرة بقذائفها" وهذا ما يجعل الشاعر يُصَوَّبَ تصويب القناص، وهل هناك هدف أكثر وضوحاً وتجلياً من دولة أقامت كيائها على تراب مغتصب؟؟... تنكل بأهل الأرض وتبيدهم إبادات جماعية غير مراعية لحقوق الإنسان ولا لقوانين ومعاهدات الحروب... واستناداً لذلك لم تكن القصيدة مجرد تعبير عن الألم؛ بل هي فعل مقاومة بحد ذاته، إنها تحاول كسر حاجز الصمت والإعلام بسلطة الكلمة والصورة، محاولة الجرح الشخصي إلى ملحمة جماعية تخلد الذكرى وتستفز ضمير، إنها التاريخ الذي لا يُقرأ فحسب بل يُقرأ ويُحسّ.

وتطرح هذه الدراسة جملة من الأسئلة لتبحث في خصوصية القصيدة المقاومة وموضوعاتها، أهمها: كيف عبر الشاعر عن مأساة غزة؟ ما هي تجليات خطاب المقاومة؟ وما هي رمزية التعبير في الشعر المقاوم؟ ما هي العلامة؟ كيف تشتغل الأنظمة الدلالية وكيف تقسم؟ على ماذا يستند بناء المعنى الشعري؟ كيف تشتغل السيمياء الثقافية ضمن مرجعياتها المتعددة؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها سنعتمد المنهج السيميائي، لتركز هذه المقاربة على شبكة من العلامات (Signs) والرموز (Symbols) التي تنسجها القصيدة، وكيف تتفاعل هذه العلامات مع بعضها البعض ومع السياق الثقافي والتاريخي لتوليد الدلالة والمعنى ذلك أن القصيدة نظام من العلامات الدالة.

2. سيمياء العلامات وأنظمتها الدلالية

لم تكن غزة المقاومة قصيدة شعر أو كتاباً فُتِحَ ليخلد حبراً على ورق، أو مشاعر تنتفض لتكتب تاريخاً، بل كانت ولا تزال نارا تأكلُ صمتَ العالم وخذلانه، ودمعاً يروي جذور الزيتون في زمن الوجد... هي صرخة الولادة من رحم الشهادة، واحتجاج النبض في شرايين أمة أرادوا لها الفناء... هي جراح الأرض نفسها تنضجُ بقصص جبابرة الصبر...

ومنذ الانتكاسة الأولى والوجد يمتد ليجتث الأرواح في فلسطين عبر تاريخ دام، وحتى السابع (07) أكتوبر 2023 انفردت غزة بالموت حتى صارت مقبرة جماعية فلا تجد إلا آهات الشعراء حبرا تكتبها بأصابع ملتهبة من قصص ينهشُ الذاكرة، لتنزف هويتها الممزقة بين انتماء يرفض الموت، وخيانة تلبس ثياب الصمت والغدر والخذلان....

أحداها غزاة" في الشعر الجزائري المعاصر قصيدة "مَحَبَّةٌ مِنْ قَهْرِ الْقَهْنِ" للشاعر نجيب ججيش،
مقاربة سيميائية _____ (المجلد الخامس عشر / العدد الأول / مارس 2026)

تضم قصيدة "عتب من تحت القصف" للشاعر الجزائري نجيب ججيش، ست
وثلاثين بيتا (36) لتحمل عتبا ثقيلاً كالجبال، موضوعها ليس سردا للوجع، بقدر ما هو
تصويرٌ لألمٍ صارَ جبلاً يتحملُ جور الظلم ولا ينكسر، يبكي الشاعرُ دموعاً حارقة لا على
أطلال بيتٍ أو فقدٍ فحسب... بل على تواطؤٍ حوّلَ البحرَ العربيَّ إلى بحرٍ دم يُغرقنا جميعاً،
فصارَ الصمتُ جريمةً، والألمُ لغز لا يحله سوى النضال والمقاومة، فماذا تحمل العلامات
السميائية؟ وما دلالة أنظمتها في القصيدة؟

يُفعل الشاعر في مطلع القصيدة نداء البحر ليتخذ وجه العتاب، يقول:

يَأْيُهَا الْبَحْرُ، صِرْ عَذْبًا وَهَّاك دمي *** أنا ابنُ عَزَّة، هَلْ حَدِثْتُ عَنْ أَلْمِي؟²

لكنه في ذات الوقت يغير النبرة نحو الأمر في "صِرْ" وعلى الرغم من أن البحر رمز تقليدي
للعطاء والحياة، لكن الشاعر هنا يركز على تحوله إلى رمز الملح والجرح والمرارة... ليخاطب فيه
المستحيل (صِرْ عَذْبًا) والجملة تعكس في الوقت ذاته حجم اليأس... لكن الشاعر لا يبالي إن
حقق البحر هذا التحول الرمزي المشروط "صِرْ عَذْبًا وَهَّاك دمي" ليخلق الاستعداد والتضحية
في "هَّاك دمي" ففعل العطاء الذي يستريح في الفداء يريح النفس، ليقدم الشاعر دمه محولا
عطاء البحر إلى عطاء ذاته... من ملوحة البحر ومرارة الألم إلى عذوبة أمل، على الرغم من علمه
بأن الطلب استحالة منذ البداية، وفي عجز البيت يربط الشاعر نفسه بـ "غزة" انتماء الكبرياء
والشرف، "أنا ابن عزة، هل حدثت عن أَلْمِي؟"

لكنه يسأل في الوقت نفسه إذا كان البحر (أو العالم) قد سمع عن ألمه... هذا السؤال
البلاغي يحمل في طياته رمزا خفيا يحيلنا إلى اتهام بالصمت والتجاهل... لأن الاستهلال الندائي
استعارة للمحنة التي تعيشها غزة المقاومة على طريقة الحزن الراقى... وذلك ما يفسره البيت
الثاني في قول الشاعر:

هَبْ نَارَ مِلْحِكَ ذَا الْقُرْبَى لِيَنْفِئَهَا *** في عُمَقِ جُرْحِي بِالْخَذْلَانِ وَالْبِكْمِ!!؟

وفي نظام ترميزي يضح بالاستعارات، يتماهى الشاعر مع الألم على اتساع مداه وغور
عمقه، ليوظف الأمر مجددا في "هَبْ" لكن هبة البحر وعطائه، تنزاح عما عهدناه انزياحا دلاليا
يستند على الترميز اللفظي والمعنوي ليلج الشاعر على البحر أن هب "نَارَ الْمِلْحِ" لتُنْفِث في عمق
الجرح، لكن فعل النفث سيؤمنه "ذَا الْقُرْبَى" بِالْخَذْلَانِ وَالْبِكْمِ" بالخذلان والتطبيع والصمت

" مشيراً إلى العرب في تواطؤهم وصمتهم ويمكن تقسيم سيمياء العلامات في القصيدة إلى أنظمة دلالية رئيسية تتصارع وتتكامل في آن واحد:

1.2 سيمياء الموت والدمار:

الموت هو حالة توقف الكائنات الحية نهائياً عن النشاطات الوظيفية الحيوية كالتنفس والنبض والحركة، والنمو، والأكل، والشرب، والتفكير، والمشاعر، وجميع الوظائف التي تمارسها الكائنات الحية، تظهر في علامات مثل (جرح، دم، أشلاء، موت، قتل، شهيد، قتل، نعش، دفنت، مثنوى، جنة)، أما الدمار فهو خراب وهلاك أو تضرر لجق به خراب شامل (قصف، حمم، رمم، نار، ركام، لهب الفسفور... العدم)، وتضج القصيدة بعلامات الموت والدمار حتى يمكن أن نرصد انتشارها في كامل القصيدة، تشكل هذه العلامات الحقل الدلالي الرئيسي للقصيدة، الذي يرسم واقعاً كابوسياً من العنف والفقدان، تتكرر علامة "دفنت" (الطفل، الأشلاء، الأب، الظل، الصفي، الأخت) يوحى بطقوس جنائزية مستمرة، وكأن الهوية والذاكرة والحياة نفسها يتم دفنها واحدة تلو الأخرى، يقول الشاعر:

دَفَنْتُ كُلَّ صَفِيٍّ كَانَ عَاهَدَنِي *** بَأْنِ نَدُومٍ، فَخَلَانِي وَلَمْ يَدُمْ
دَفَنْتُ طِفْلاً... وَأَشْلَاءَ... دَفَنْتُ أَبِي *** دَفَنْتُ ظِلِّي ... لِأَنِّي مِتُّ فِي حُلِيِّ
دَفَنْتُ أَخْتَا، صَبَاحًا جُرْحُهَا عَطِرٌ *** يَفُوحُ بِالْغَضَبِ الْمَوَّارِ وَالنَّقَمِ³

وتكرر فعل "دفنت" بصيغة الماضي يحدث إيقاعاً يشبه الطقوس الجنائزية أو الهمس في حالة صدمة، كما يخلق تأثيراً تراكمياً يصور كيف أصبح العنف والموت روتيناً يومياً يعيشه أهل غزة ...

ولا يكتفي الشاعر بصيغة الماضي بل يضيف عليها صيغة المضارع...يسبقه الأمر دلالة على استمرارية الدفن والموت يقول:

قُمْ فَادْفِنْ النَّاسَ، لَا تَسْتَجِدْ مِنْ أَحَدٍ *** دَمْعًا، فَأَنْتَ قَتِيلُ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
ولا يقف الشاعر عند كابوس الدفن الحقيقي، بل يتعداه إلى الدفن الرمزي، لا يدفن الشاعر الناس فحسب، بل يدفن ظله "دفنت ظلي" ويدفن حتى حلمه "لأنني مت في حلمي" هذه صور سريرية تعبر عن فقدان كل شيء ...

ومن صور الدمار يكرر الشاعر صورة الإبادة الجماعية التي يمارسها العدو على أطفال غزة في صمت العرب والعالم قاطبة يقول:

أحاديث غزة" في الشعر الجزائري المعاصر قصيدة "مَحَبَّةٌ مِنْ قَهْرِ الْقَهْنِ" للشاعر نجيب جعيط؛
مقاربة سيميائية _____ (المجلد الخامس عشر / العدد الأول / مارس 2026)

مات الصغار خداجاً - بعد ما رضعوا *** في الحاضنات، ولو عاشوا فليليتم !!
وتنظرون وبطش القصف يسحقهم *** طفلاً وشيخاً، ولم تأسوا لما بهم؟!
وتتوالى علامات الدمار في صورة الحقيقة المروعة لإيصال حجم المأساة في غزة يقول
الشاعر:

ما ضَرَنِي لَهَبُ الْفُوسْفُورِ... يَهْشِي *** أَلْفُ جُرْحي، غَمَسْتُ الْخُبْزِي فِي الْأَلَمِ
ويسوق في هذا البيت وجعا قاتلاً متمثلاً في "لَهَبُ الْفُوسْفُورِ" ولا يفوت الشاعر أن
يذكر أسلحة الدمار الكيميائية التي يوظفها العدو ضد الأبرياء في غزة، والفسفور مادة
كيميائية تستعمل في القنابل «يسبب التعرض له أعراضاً صحية متعددة، ولا بد هنا من
ملاحظة أن التأثيرات الجهازية قد تتأخر لمدة تصل إلى 24 ساعة، ويمكن أن تشمل اضطرابات
القلب والأوعية، بالإضافة إلى تلف الكلى والكبد، وانخفاض مستوى الوعي، والغيبوبة، وقد
تصل إلى الوفاة بسبب الصدمة أو الفشل الكبدي أو الكلوي، أو تلف الجهاز العصبي
المركزي، أو القلب»⁴

وينضاف إلى آلة الموت والدمار التي تشهدها غزة المقاومة في كل لحظة، ألماً أكثر جعاً
بسبب الخذلان العربي والتطبيع الشنيع، فكيف صور الشاعر هذه العلامة؟ وما هي رميتها
الدلالية؟

2.2 سيمياء الخذلان والخيانة

إن صور الدمار بكل علاماته بما فيها الموت والإبادة الجماعية والعلنية سببه الخذلان
العربي الذي عبر عنه الشاعر بقوله:

سَقَطَتْ عَنْ صِهْوَةِ التَّارِيخِ فَارْتَطَمَتْ *** بِي الْعُرُوبَةِ فِي فَوْضَى مِنَ الْخَيْمِ!!
وتنظرون وبطش القصف يسحقهم *** طفلاً وشيخاً، ولم تأسوا لما بهم؟!
والخذلان هو التخلي عن النصرة والإعانة، وهو الفشل وترك القتال، أما الخيانة فهي
نقض العهد في السر وَعَدَمُ صِيَانَةِ الْأَمَانَةِ وَنَقْضُهَا، ويمكننا سماع نحيب الشاعر من هول
الخذلان العربي والخيانة ... وتتقارب العلامات الدالة على كل منهما لأنهما مصدر "الألم"
الرئيسي في مأساة غزة وتاريخ فلسطين، ناهيك عما صورته القصيدة، وهو أعمق من ألم
القصف، يقول الشاعر:

أَلِفْتُ كُلَّ جِرَاحٍ كُنْتُ أَرْهَمُهَا *** صَمَدْتُ حَتَّى رَأَيْتُ الْجُرْحَ كَالنَّعَمِ!!

ولا كجرحي من قومي وقد عجزوا *** إلا عن الشجب، والتنديد والقمم!!

بني العروبة والإسلام ما لكم؟ *** أين التواصي بذى القربى وذى الرحم؟⁵

يبني الشاعر خطاب العتاب موجهًا أصابع الاتهام للعرب بسبب خذلانهم وعجزهم وتطبيعهم وخيانتهم، في هذه الأبيات مستنكرا متعجبًا مستفهمًا ليعكس ذروة الاحتقار لما وصل إليه العرب من التخاذل والتواطؤ والصمت الخائن بينما يموت أهل غزة تباعا، ويذكر بني العروبة حاملي لواء الإسلام بما جاءت به تعاليم الدين قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾، [سورة النساء الآية 36] فإين ذى القربى؟ وأين الجار؟ وأين الصاحب؟ وأين العرب؟

ويقف الشاعر أمام بني العروبة ليذكرهم بيوم السؤال، كما سبق وذكرهم بما جاءت به تعاليم الإسلام، ليطرح حقيقة الوقوف ورمزية المقدسات "الحج، مقام الرسول صلى الله عليه وسلم، ويوم القيامة" يقول:

ماذا تقولون يوم الحج يجمعكم *** لدى مقام رسول الله في الحرم؟!

أوفي القيامة يلقاكم ويسألکم *** أما خَشِيتُمْ جَزَاءَ الظُّلْمِ بِالظُّلْمِ؟⁶

يستخدم هنا رمزية دينية وأخلاقية عالية لتوجيه اتهام لا يمكن دحضه، مما يضيف على القصيدة بُعدًا عقائديًا وأخلاقيًا مهمين، وقد تعددت الآيات القرآنية التي تذكر المسلمين بيوم الحساب، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الحجر الآيتين 92-93]

وقال أيضا: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [في سورة الأعراف

الآية 6]

وقال: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُم لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن الآية 9]

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ

مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [في سورة الأنبياء الآية 47]

ولا يقف الشاعر عن إعلاء صوت عتبه للخذلان العربي يقول:

أحداهم غزاة " في الشعر الجزائري المعاصر قصيدة "مَحَبَّةٌ مِنْ قَهْرِ الْقَهْنِ" للشاعر نجيب جعش،
مقاربة سيميائية _____ المجلد الخامس عشر / العدد الأول / مارس 2026

ويقطعُ الغَاصِبُ المُحْتَلُّ قُوَّتَهُمْ ** وَتَنَعَّمُونَ بِشَتَى البَذَخِ والتَّخَمِ؟!
للطَّائِرَاتِ وَقُودٌ مِنْ حَقُولِكُمْ ** وَلَا بِنِ غَزَّةٍ لَيْلُ الْقَصْفِ والحَمِّ؟!
وتشربون دماء الحاضنات إذا ** شَحَّ الوُقُودُ، فدَبَّ الموتُ في اللَّحْمِ؟!⁷

يعدد الشاعر علامات الموت... الموت المخطط له مع سبق إصرار الجريمة... وترصد فرص الإبادة، فيقطع الغاصب المحتل عن أهل غزة القوت، في حين ينعم العرب ببذخ العيش وتخمّةٍ غير مبالين بإخوانهم، ولا يقف الشاعر عن حالة واحدة بل يفضح التخاذل المعلن ويُحَمِّلُ العرب وزر من يموتون بالوقود العربي، فوقود طائرات العدو من حقول العرب، حتى صار ليل ابن غزة حمم متساقطة، ومن استعارة الوجد الممتد والمأساة المحيطة من كل صوب يسوق الشاعر إزاحة دلالية يرى فيها أنّ العدو يشرب دم الحاضنات إذا شحت الوقود... وهي دلالة على كثرة التقتيل من غير مبالاة حتى بالأطفال الخدج، وكنتيجة لهذه الإزاحة الدلالية اجتاح الموت كل الأماكن، مع كل الدمار الذي لحق غزة المقاومة، يسوق الشاعر كمّا آخر من علامات الدمار يقول:

مهما تُركنا... قُصِفْنَا وحدنا، نُسِفَتْ *** بنا البنايات، لن ندعو إلى السَّلَمِ
فالعلامة المركبة في " مهما تُركنا" و "قُصِفْنَا وحدنا" و "نُسِفَتْ بنا البنايات" تحمل
كم الوحدة والوجد وحجم الخسائر التي لحقت أهل غزة، وعلى الرغم من كل شيء فإن
الشاعر ينطق على لسان أهل الأرض متمسكا بالقضية والمقاومة والصمود في قوله "لن ندعو
إلى السَّلَمِ" هنا إشارة مضمرة لقصيدة أمل دنقل لا تصالح ...

3.2- سيمياء الصمود والمقاومة:

تتحرك الرمزية في القصيدة بين الظاهر والمضمر يؤمن ظهورها العلامات الحركية
في أفعال مثل: قم، انهض، ألفت، صمدت، جاهد، صاح... وهي علامات فردية تؤسس فعل
الصمود وتؤكد عليه، وتحمل صور القصيدة ضمناً إلى فعل المقاومة يقول الشاعر:

سقطتُ عَنْ صهوة التاريخ فارتطمت **** بِإِغْرُوبَةٍ فِي فَوْضَى مِنَ الخَيْمِ!!
فَرَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَوْتِي، فَأَنْكَرَنِي *** وقال: قُمْ، ليس ذا مثواك في الرممِ
نَفَضْتُ شَوْمي، فهذا الحلم أَوَّلُهُ *** قلبي نُزُوحًا، وصاح: انهضُ مِنَ العَدَمِ⁸

يوظف الشاعر في هذه الأبيات أسلوباً مغايراً في التركيب الرمزي للعلامة فيذكر الموقف السلبي كي يثبت الإيجابي أو ما يسمى في عرف الرياضيات بالبرهان بالتراجع أو برهان الخلف، وهو برهان إلزام لا برهان إيضاح، (فالسقوط عن صهوة التاريخ، والارتطام بفوضى العروبة) والنتيجة الحتمية على رأي محمود درويش:

لا إخوة لك يا أخي، لا أصدقاء

يا صديقي، لا قلاع

لا الماء عندك، لا الدواء، ولا السماء، ولا الدماء، ولا الشراع

ولا الأمام ولا الورا

حاصر حصارك... لا مفر⁹

و«بالبرهان بالتراجع إرغامٌ للعقل على التسليم بالنتائج، من غير أن يُرجع القضية المراد إثباتها إلى الأوليات الواضحة، وقيل أيضاً؛ إن برهان الخلف هو البرهان الذي يقصد فيه إثبات المطلوب بإبطال نقيضه»¹⁰

فما ذكره الشاعر في الأبيات السابقة إثبات للصمود والمقاومة بإبطال الفرار والانكسار والانهزامية يقول:

فَرَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَوْتِي، فَأَنْكَرَنِي *** وقال: قُمْ، ليس ذا مثواك في الرمم

نَفَضْتُ شَوْمِي، فِهَذَا الْحَلْمُ أَوْلَهُ *** قلبي نُزُوحًا، وصاح: انْهَضْ مِنَ الْعَدَمِ

ويخلق الشاعر حواراً بينه وبين الموت لإثبات الصمود وضرورة المقاومة، فالفرار من الموت انهزامية وانكسار، لكن الموت أنكر عليه التقهقر والتراجع وخاطبه بصيغة الأمر في "قُمْ، ليس ذا مثواك في الرمم" ويؤكد الصمود والمقاومة في البيت الذي يليه "وصاح: انْهَضْ مِنَ الْعَدَمِ" وهي علامة مركبة تحيل إلى أسطورة العنقاء والولادة من العدم أو النهوض من العدم، والجملتين في البيتين إرغامٌ للعقل على التسليم بضرورة الصمود والمقاومة والعودة من الموت، ومن حالات الصمود أن يتحول الدم نفسه في غزة المقاومة إلى علامة يقول الشاعر:

في "غزة" قَدْ شَتَلْنَا غَرْسَ عِزَّتِنَا *** كالنخل يُرَوَّى بدمع ناضحٍ ودم¹¹

و "الدم" هنا علامة متعددة الدلالة؛ فهو إن كان علامة دالة على الجرح، وعلى الشهادة، وعلى الموت عامة، فإنه في قول الشاعر "كالنخل يروى بدمع ناضح ودم" يصبح

علامة على الإرواء والحياة والنماء... ما يدعم ولادة الحياة من الموت والنهوض من العدم...
ويستمر الشاعر في اثبات حالة الصمود والمقاومة يقول:

صَلَّيْتُ فَوْقَ رُكَّامٍ حِينَ لَمْ يَجِدُوا *** بِهِ أَنِينَا، لَأَنْ الرِّيحَ رِيحَ دَمٍ
أَلِفْتُ كُلَّ جِرَاحٍ كُنْتُ أَزْهَمُهَا *** صَمَدْتُ حَتَّى رَأَيْتُ الْجُرْحَ كَالنِّعَمِ!!

يوظف الشاعر في البيتين البرهنة لكن بطريقة مغايرة والواضح أن البرهان في البيتين
برهان مباشرة وهو «البرهان الذي يتم فيه الانتقال من المعطيات على المطلوب مباشرة
باستخدام عبارات المنطق، والاستعانة بالحقائق والتعريفات» (الرزاق، 2022)

فـ "صَلَّيْتُ فَوْقَ رُكَّامٍ" و "أَلِفْتُ كُلَّ جِرَاحٍ كُنْتُ أَزْهَمُهَا" و "صَمَدْتُ حَتَّى رَأَيْتُ الْجُرْحَ
كَالنِّعَمِ" كلها علامات مركبة تعطينا معطيات على المطلوب المباشر، وعلى عكس نظام الموت،
تقدم هذه العلامات إرادة الحياة، والصمود، فعلامة "ألفت" مثيرة للاهتمام سيميائياً؛
فالتعود (الألفة) هو علامة على التكيف، ولكن هنا التكيف على الموت والجرح، مما يحول
هذه العلامة إلى دليل على صمود غير طبيعي وغريب، يعكس القوة والصبر.

3. الثنائيات الضدية

ولا تقف الدراسة السيميائية عند العلامة لتبحث عن النظم ودلالاتها، بل تبحث أيضاً
عن خصوصية البناء الشعري، لنطرح سؤالاً ملحا على ماذا يستند بناء المعنى الشعري؟
بنى الله الكون على التضاد، فهذا ليلٌ يمزق ظلمته النور والنهار، وهذا حزن يخرج من
رحم الفرح، أو ابتسامة تمسح دمعاً، وهذا صراع خير وشر، يعقبه إما جنة وإما نار ...
ويعرف أبو هلال العسكري المتضادين بقوله: «المتضادان هما اللذان ينتفي أحدهما
عند وجود صاحبه إذا كان وجود هذا على الوجه الذي يوجد عليه ذلك كالسواد والبياض»¹²
«والضدان يتعاقبان في موضوع واحد يستحيل اجتماعهما»¹³، ويعرف المعجم
الفلسفي "الثنائيات" بقوله: «الثنائي من الأشياء ما كان ذا شقين والثنائية هي القول بزوجية
المبادئ المفسرة للكون، كثنائية الأضداد وتعاقبها»¹⁴

لذلك فالثنائية الضدية زوجان متعاكسان ويكون هذان الزوجان ماديين كالطويل
والقصير أو معنويين كالفرح والحزن، والثنائية الضدية تشكل في الكلام شقين
متعاكسين، لا يجتمعان في شيء واحد، و«الثنائيات الضدية ظاهرة فلسفية تم سحجها على

النقد الأدبي، وأول من طبقها على الأدب هم البنيويون، ويعد هذا المصطلح مفردة من مفردات الثقافة الغربية»¹⁵

فكيف وظف الشاعر التضاد أو الثنائيات الضدية في البناء الشعري؟ وتبحث السيميائية عن الثنائيات التي يقوم عليها المعنى، والقصيدة تعج بثنائيات ضارية تخلق صراعاً درامياً:

الثنائية الضدية	دلالاتها
الحياة / الموت	الثنائية المحورية في كل القصيدة والتي تصور غزاة المقاومة وهي في كل مرة تولد من رحم الشهادة على الرغم من كل مظاهر الموت
عذب / ملح	الثنائية الافتتاحية التي تحاول القصيدة كسرهما بدم الشاعر، لكنها تبقى ثنائية قائمة.
الحلم / الكابوس	الحلم بدايةً ("مُتُّ في حلمي") ثم يتحول إلى كابوس. لكنه يعود في النهاية ليصبح "حلم" المقاومة والعهد ("ميعادنا قدسنا").
غزة/العالم العربي	الثنائية الجغرافية-السياسية. غزاة كفضاء للموت والتضحية، مقابل فضاءات الآخرين للترف والبذخ والصفقات
دم - صمت	الدم علامة على الحياة والألم الظاهر، مقابل "البكم" و"الصمت" و"العجز" و"الشجب" التي هي علامات على الموت المعنوي والخذلان.
الطفولة (براءة) / الموت (فضاعة)	ثنائية مأساوية تظهر في "رضيع بينهم وبكى" و"مات الصغار خداجاً".
الضحايا/الجلادين	لكن الثنائية الأكثر إيلافاً هي ضحايا القصف / الضحايا الخائنون (ذوو القرابة) الجلاد واضح (المحتل)، لكن القصيدة تركز على العلامات الدالة على الخيانة الداخلية.

جدول (1). الثنائيات الضدية في القصيدة

الثنائيات الضدية ظاهرة موجودة في تراثنا العربي فكرة و انتاجا تعكس طبيعة الأشياء في هذا الوجود وتعبر عن حقائق الحياة، وعن هذا وقديما قال الجاحظ (ت 255 هـ): «اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر، والضار بالنافع، والمكروه بالسار والضعفة بالرفعة، والكثرة بالقلة، ولو كان الشر صرفا لهلك الخلق، أو كان الخير محضا سقطت المحنة، وتقطعت أسباب الفكرة ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة»¹⁶

و«الناس بطبيعتهم مختلفون وغير متشابهين تماما، ومظاهر الحياة كلها هي نتيجة ذلك التجاذب بين قطبي هذه الثنائية وتصارعهما»¹⁷

وقد ركز الشاعر على مبدأ التصارع منذ بداية القصيدة في موضوعها العام فالحديث عن القضية الفلسطينية عامة وغلاف غزة خاصة حديث عن تصارع الموت والحياة بكل تفاصيل الصراع وما ينجر عنه من ثنائيات بين أهل الأرض والعدو، بين الذين ينافحون من أجل استعادة الحق المسلوب وبين عدو معتدي دخل الأرض ذليلا وتجبر ظلما وعدوانا، حتى تحول الحال وتمكنت طائفة تلحق المكاره بأهل الأرض على مرئي ومسمع العالم يقول الشاعر:

وكيف صرنا إذا حاقت بطائفة ** منا المكاره لمناها على الشَّمَم !!

ولا تنضب الثنائيات الضدية أن تخلق صور البناء الشعري ومعناه ليرصد الشاعر مقاومة أهل الأرض والخذلان العربي الذي أدخله حالة الجوع والعطش يقول الشاعر:

شَرِبْتُ مِلْحَ المحيط الأطلسي أنا *** لأنهم منعوني ما يَبُلُ فَي
ليتحول الحلم بغد أفضل إلى كابوس يغذي آلة الموت التي تحصد الأرواح، يقول:
نَفَضْتُ شَوْمي فهذا الحلم أوله *** قلبي نُزُوْحًا، وصاح: انْهَضْ مِنَ الْعَدَمِ
قُمْ فَادْفِنِ النَّاسَ، لا تستجد من أحد *** دمعًا، فأنت قتيلُ العُربِ والعَجَمِ
وتنهال دموع الشاعر وجعا لكثرة من دفن ليصور تضادا يرصد البراءة والفظاعة، يقول الشاعر:

دَفَنْتُ أَخْتَ صَبَاحًا جُرْحُهَا عَطِرٌ *** يفوح بالغَضَبِ المَوَارِ والنَّقَمِ
كان اسمها "جَنَّة"، في كفها كتبت *** في أرض "غزة" ميلادي ومختمي

وبين السجن والحرية، والضحية والجلاذ، والدمعة والابتسامة، والوحدة والالتفاف، والألفة والغربة، يبكي الشاعر معاتباً من تحت القصيف كل ضمير العالم لعل الصوت يبلغ مداه وزلزال الكلمات يحرك الموتى ويبعث فيهم النشور ...
ويستخدم الشاعر في القصيدة الانزياح عن مألوف المعيار لخلق دلالات جديدة تعكس عمق التجربة والتأثر بالمأساة، يقول:

أَلِفْتُ كُلَّ جِرَاحٍ كُنْتُ أَرْهَمُهَا *** صَمَدْتُ، حَتَّى رَأَيْتُ الْجُرْحَ كَالنِّعَمِ!!

وفي انزياح دلالي مثير يتم قلب الدلالة المعتادة للجرح والمتمثلة في الألم، إلى دلالة مضادة هي النعمة، ليصبح الجرح مساوٍ للنعمة، بسبب كثرة التكرار والتأقلم القسري، مما يوحي بعمق المأساة.

ومن الانزياح التركيبي قول الشاعر:

يَأْيُهَا الْبَحْرُ صِرْ عَذْبًا وَهَآكْ دَمِي *** أَنَا ابْنُ عَزَّةَ، هَلْ حُدِّثْتَ عَنِ الْمَيِّ؟

فالتركيب "صر عذباً" أمر للبحر، وهو كائن غير عاقل، ليقوم بعمل مستحيل (تغيير طبيعته)، هذا الانزياح يعبر عن حدة اليأس وقوة التمني في ذات الوقت، ليستدرك طلبه في البيت الأول بالببت 29 يقول:

شَرِبْتُ مَلْحَ الْمَحِيطِ الْأَطْلَسِيِّ أَنَا *** لِأَنَّهُمْ مَنَعُونِي مَا يَبُلُّ فَيْي

ليعمق المعاناة أكثر -على الرغم من حقيقتها- فلا أكل ولا شرب... وجبارة غزة يمتد بهم الوجع ليمتد الصمود يصارع الموت الحياة، فتغلبه بابتسامة الأطفال ويغلبها بخيانة العروبة فيدفن أبناء الأرض الأهل والأحباب، ويدفن معها الحلم والضوء والشمس والظل... هذه الصورة التي مثلت انزياحا موجعا يقول الشاعر:

دَفَنْتُ طِفْلاً... وَأَشْلَاءَ... دَفَنْتُ أَبِي *** دَفَنْتُ ظِلِّي... لِأَنِّي مِتُّ فِي حُلِّي

والظل علامة على الهوية والوجود، ودفنه يعني فقدان الذات والوجود المعنوي، وهي صورة سريالية قوية، جسدت الواقع وما فوقه، وتعدت التخيل وجنوحه...

ويستند الشاعر إضافة إلى الانزياح جملة من المرجعيات التي تشتغل كعلامات في النظام السيميائي للقصيدة، كالمرجعية الدينية الإسلامية في علامات مثل "القيامة"، "رسول الله"، "الحرم"، "الشهادة"، "الجنة" والتي تستمد قوتها الدلالية من المخزون الثقافي والديني

أحداث غزة" في الشعر الجزائري المعاصر قصيدة "مَحَبَّةٌ مِنْ قَهْرِ الْقَهْنِ" للشاعر نجيب جحيش؛
مقاربة سيميائية _____ المجلد الخامس عشر / العدد الأول / مارس 2026

للقارئ، ذلك أن استدعاءها يضيف على صراع الثنائيات الضدية بُعدًا عقائديًا وأخلاقيًا، ويجعل الخذلان العربي يتعدى حدوده السياسية ليصبح خيانة دينية أيضًا. في حين يستند الشاعر للمرجعية التاريخية والقومية ليحشد علامات مثل "ابن عزة"، "العروبة"، "صهوة التاريخ" ليربط المعاناة الحالية بتاريخ طويل من الكبرياء والسقوط. في الوقت الذي تتحول المرجعية المكانية المقدسة في علامات مثل "غزة"، "الأقصى"، "القدس" من مجرد أسماء جغرافية إلى علامات دالة على الوطن والهوية والمقدس المسلوب، لتصبح "غزة" نفسها تحولًا جذريًا من مجرد مكان إلى علامة سيميائية للصمود تحت الحصار؛ حصار الحرب والموت والجوع والعطش.

4. خاتمة:

تفاعل الشعر الجزائري مع القضية الفلسطينية عبر محطاتها التاريخية ليس فقط كقضية قومية بل جزء من الجزائر، ولا يختلف الشعر المعاصر في مواكبة الحدث، فمنذ طوفان الأقصى في السابع أكتوبر، وغزة المقاومة تعاني الأمرين، وقد كتب الشاعر نجيب جحيش قصيدته "عتب من تحت القصف" بدم الشهادة والصمود والمقاومة من تحت الأنقاض والركام واشلاء الموتى.

-تشكل القصيدة نظامًا سيميائيًا مغلقًا على الألم ومفتوحًا على الاتهام، فهي نسيج مركب ومعقد من العلامات التي تتصارع؛ تطفئ عليها علامات الموت، ولكن علامات الصمود تقاوم بجسارة وإن كانت مهالكة ومتألمة...

-تحمل القصيدة الدلالة المركزية تتمحور حولها العلامات تنتج تفاعلات بينها هي علامة الجرح الجسدي أهون من جرح الخذلان، والصمود هو الرد الوحيد الممكن حتى في قلب الدمار الشامل، والقصيدة نفسها علامة دالة على هذا الصمود، فهي تحول الصمت إلى كلمة، والخذلان إلى اتهام، والموت إلى شهادة، والشهادة إلى انتصار.

5. الإحالات والهوامش:

¹ جون بول سارتر. ما الأدب. ترجمة وتقديم محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة:

مصر، 1990، ص 13

² لبنى خشة: إيقاع الوجع؛ طوفان الأقصى في الشعر الجزائري، دار خيال للنشر والترجمة، برج بوعرييج، الجزائر، ط1، 2025، "قصيدة عتب من تحت القصيف، القصيدة ضمن ملحق ضم 30 قصيدة كتبت طوفان الأقصى"، ص 270

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

⁴ أكرم صالح: الفسفور الأبيض؛ تأثيرات وتديرات <https://www.aljazeera.net/blogs/2024/11/6>

⁵ لبنى خشة: إيقاع الوجع؛ طوفان الأقصى في الشعر الجزائري، المرجع نفسه، ص 271

⁶ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

⁷ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

⁸ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

⁹ محمود درويش، الديوان، قصيدة مديح الظل العالي،

<https://www.aldiwan.net/poem6688.html>

¹⁰ الانطولوجيا العربية: البرهان بالتراجع <https://ontology.birzeit.edu/term>

¹¹ لبنى خشة: إيقاع الوجع؛ طوفان الأقصى في الشعر الجزائري، المرجع نفسه، ص 272

¹² مصر، دط، د ت، ص 164 العسكري أبو هلال: الفروق اللغوية، المكتبة التوفيقية،

¹³ الجرجاني: التعريفات، مكتبة لبنان. بيروت، لبنان، 1985، ص 142

¹⁴ جورج صليبيا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني. بيروت د ت، ص 379

¹⁵ سمر الديوب: مصطلح الثنائيات الضدية، بحث في المصطلح ودلالته، المركز الإسلامي للدراسات

الاستراتيجية، ط1، 2017، ص 15

¹⁶ الجاحظ: الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ، ص 134

¹⁷ سمر الديوب: مصطلح الثنائيات الضدية، المرجع نفسه، ص 99

6. قائمة مصادر البحث ومراجعته:

✓ الكتاب:

-الجاحظ: الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424 هـ

-الجرجاني: التعريفات، مكتبة لبنان. بيروت، لبنان، 1985.

-جورج صليبيا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني. بيروت د ت

-العسكري أبو هلال: الفروق اللغوية، المكتبة التوفيقية، مصر، دط، د ت.

-سمر الديوب: مصطلح الثنائيات الضدية، بحث في المصطلح ودلالته، المركز الإسلامي

للدراسات الاستراتيجية، ط1، 2017 - 266

أحاديث خزانة " في الشعر الجزائري المعاصر قصيدة "مَحَبَّةٌ مِنْ قَهْرِ الْقَهْنِ" للشاعر نجيب جعش؛
مقاربة سيميائية _____ المجلد الخامس عشر / العدد الأول / مارس 2026

-لبنى خشة: إيقاع الوجد؛ طوفان الأقصى في الشعر الجزائري، دار خيال للنشر
والترجمة، برج بوعرييج، الجزائر، ط1، 2025

-جون بول سارتر. ما الأدب. ترجمة وتقديم محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة
والنشر، القاهرة: مصر، 1990

✓ مواقع الانترنت:

-أكرم صالح: الفسفور الأبيض؛ تأثيرات وتدبيرات
<https://www.aljazeera.net/blogs/2024/11/6>--محمود درويش، الديوان، قصيدة
مديح الظل العالي، <https://www.aldiwan.net/poem6688.html>
الانطولوجيا العربية: البرهان بالتراجع <https://ontology.birzeit.edu/term>